الجمعيات والنوادي الثقافية في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي

الجمعيات والنوادي ظاهرة اجتماعية تدل على النضج والاستجابة لمتطلبات الحياة المدنية الحديثة، والجزائر في فترة الاحتلال الفرنسي كانت تعيش تعسف قانون الأهالي (الأندجينا) البغيض الذي صدر سنة 1881، الذي حرمهم من الحريات العامة، ومنها حرية إنشاء الجمعيات، فقد فتحت الجمهورية الثالثة (1870 – 1940) في فرنسا عهدا جديدا للمجتمع الفرنسي في بعث الحريات العامة، التي استفادت منه النخبة المسلمة الجزائرية الملحقة بالإدارة، فأصبح لها الانتماء إلى الجمعيات التعاونية والعلمية.

وازداد الضغط على عامة الجزائريين؛ ففي 30 نوفمبر 1887 صدرت تعليمة من الحكومة العامة في الجزائر، توضح أن الأعضاء المنخرطين في الجمعيات الرياضية والتمارين العسكرية، لا يمكن أن يكونوا إلا فرنسيين، أما بالنسبة للجمعيات الأخوية والفنية وباقي الجمعيات، يجب أن يكون أغلبية أعضائها فرنسيين وجلس إدارتها مشكلا من فرنسيين فقط.

ونتيجة لهذه العوائق الأساسية، لم يتمكن الجزائريون قبل 1901 إنشاء علاقات تعاقدية أو تعاونية أو التقرب من بعضهم البعض وتأسيس نوادي للقاء؛ فقد كان العلماء مثلا لا يجدون مكانا يلتقون فيه ويتبادلون الآراء، إلا خلال زيارات المجاملة أو أثناء درس الجامع الكبير أو عن نقيب ضريح الثعالبي، فقد أعتبر كل تقارب أو تعاقد لتكوين وتأسيس تنظيمات اجتماعية أو اقتصادية. وثقافية تعليمية، في منظور النظام الاستعماري، نوع من المقاومة وخروج عن القوانين. ورغم ذلك ففي آخر القرن التاسع عشر ظهرت عام 1894 جمعية الرشيدية.

وبصدور قانون الجمعيات في فرنسا 1901، ويبدو أن أول ظهور نشاط الجمعية الثقافية كان بمبادرات فرنسية من فرنسيين متعاطفين مع القضايا الجزائرية أو بدافع من الإدارة الأهلية نفسها لأغراض تتماشى مع سياسة العناية بالجزائر الأهلية التي جاء بها الوالي العام شارل جونار بالخصوص. ذلك أن معظم الجمعيات والنوادي التي ظهرت لأول مرة كانت خلال العشرية الأولى من هذا القرن. أما قبل ذلك فلم يكن يوجد سوى نوعين من الجمعيات المدعومة من الحكومة العامة أيضا، وهي جمعيات الخيرية التي تتولى الإشراف على توزيع المساعدات الخيرية والصدقات على الفقراء في المدن، والثانية جمعيات الاحتياط التي تتألف عادة من المزارعين لحماية الفلاحين في السنوات العجاف.

أ – المرحلة الأولى: ظهور الجمعيات والنوادي الجزائرية (1894 – 1914):

أعطت السلطة الفرنسية إذن الأخضر لتكوين الجمعيات التعليمية والاجتماعية منذ أول هذا القرن. فظهرت في العاصمة عدة تنظيمات أبرزها الجمعية الرشيدية والجمعية التوفيقية ونادي صالح باي في قستنطينة.

1 – الجمعية الرشيدية 1894:

تأسست الرشيدية في مدينة الجزائر العاصمة عام 1894، وهي جمعية ودادية لقدماء تلاميذ المدارس العربية الفرنسية لمدينة الجزائر، أسسها قدماء الشبان الجزائريين الذين تخرجوا من المدارس الفرنسية الجزائرية، وهي تهدف إلى مساعدة الشباب الجزائري على العمل والتفكير في نشر العلوم الثقافية الإسلامية، بإقامة نشاطات أدبية وإصلاحية، كالدروس والمحاضرات، وكان للجمعية فروعا لها في عدة مدن، فقد ضم فرع مدينة الجزائر (250 عضوا) عام 1910، ومن أعضائها: أبو القاسم بن التهامي، وأحمد بن بريهمات.

وبالخصوص الوسائل التي ارتكزت عليها الجمعية لتبليغ أهدافها إلقاء المحاضرات باللغتين العربية والفرنسية من طرف عدة محاضرين من أمثال: أمحمد بن رحال وعبد الحليم بن سماية، عبد القادر المجاوي وأبو القاسم الحفناوي وغيرهم، وتناولت محاضرتهم مختلف العلوم من فنون وقانون وسياسة وعلوم، كما كانت تتناول مواضيع ذات بعد وطني وسياسي وحضاري. ولكن بظهور البوادر الأولى للحرب العالمية الأولى توقف نشاط الجمعية، رغم ولائها لفرنسا.

2 – الجمعية التوفيقية 1908:

هي جمعية تهذيبية خيرية أدبية علمية تأسست عام 1908 بالجزائر العاصمة، ثم أعادت النخبة تنظيمها عام 1911، وتألف مجلسها من اثنتي عشرا عضوا، وكان الدكتور أبو القاسم بن التهامي رئيسا لهذه الجمعية وكل من السيدين محمد صوالح أستاذ بثانوية الجزائر والمدرس محمد برانكي نائبين له.

وهدفت الجمعية إلى جمع الجزائريين الراغبين في تثقيف أنفسهم وتطوير أفكارهم ومعارفهم العلمية والاجتماعية، واستطاعت أن أكثر من (200 عضو) خلال سنة واحدة، كما أن بعض الجزائريين الذين كانوا ينشطون فيها بعضهم مجنس بالجنسية الفرنسية ومتخرج

من المدارس الفرنسية مثل: الشريف بن حبيلس ومحمد صوالح وابن التهامي، كما انظم إليهم بعض المثقفين بالعربية.

ومن نشاطاتها تدريس اللغة العربية والرياضيات وتقديم بعض الألعاب، وتأسيس عدة فروع عبر الجزائر، وإلقاء عدة محاضرات تاريخية وثقافية وسياسية ودينية واجتماعية حول مواضيع عديدة ومنها ما قدم عام 1911، وهي المحاضرات التي تساعدنا على فهم الواقع وعلى النشاط التي تقوم به الجمعية، وجاءت هذه المحاضرات كما يلي:

المحاضر	موضوع المحاضرة
بينتي	فوائد التعارف
بينتي	القانون الإسلامي
قاسمي	الحضارة العربية
صوالح	ملامح العالم الإنساني المعاصر
برانكي	الأدب المعادي للإسلام
آيت قاسي	عقوبة الموت
معاشو	نابليون في مصر

كما أضافت الجمعية التوفيقية إلى نشاطها إلى جانب مسألة البر بالتلاميذ الفقراء والقيام بالمحاضرات كل أسبوع دروسا إعدادية في اللغة العربية في كل عشية من يوم الأربعاء والجمعة ودروسا في الحساب والجبر في عشية يوم الجمعة فقط. فكان الإقبال على تلك الدروس مستمرا، واستفاد منها كثيرا جمع غفير من الشبان في ذلك الوقت الذين أصبحوا يحسنون العربية.

3 – نادي صالح باي:

تأسس سنة 1907 في قسنطينة باسم جمعية الدراسات الأدبية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية من قبل جماعة من المثقفين، كان يرأسه موظف فرنسي يدعى عريب (Arrip) وعضوية ابن الموهوب ومصطفى باشطاري ةمحمد بن باديس وغيرهم، وكان يضم 1700 عضوا، كما كان له فروع في العديد من المدن الجزائرية كعين مليلة وعين عبيد ووادي ناتي وقالمة وسوق هراس، وغيرها. أما أهاف النادي فقد كانت تنشر التعليم والمساعدة على تحرير الجماهير الجزائرية والتوفيق بين المجموعتين الفرنسية والجزائرية، وكانت أهداف النادي تنظيم دروس التعليم العام والمهني وعقد محاضرات علمية وأدبية وخلق جمعيات خيرية والدعوة إلى العمل والأخوة والتعاون، وإزالة البغض ومعالجة الأمراض الأخلاقية ومحاربة

الأنانية والظلم ومساعدة الجزائريين على إظهار مواهبهم الأدبية، ويمكن اعتبار الشيخ مولود بن الموهوب أبرز من كان يضطلع بمهمات هذا النادي حيث كان يحاضر فيه على الناس متناولا بالمعالجة القضايا الأدبية والاجتماعية وكانت هذه المحاضرات تنشر في الجرائد العربية والفرنسية إعجابا بها، ولعل جريدة كوكب إفريقيا نالت حصة الأسد في نقل محاضراته وإيصالها للجمهور الذي يتعذر عليه التردد على النادي.

مهما يكن الأمر؛ فإن هذه الجمعيات كانت تنشط في ميدان التعليم والتوعية وتنشيط الشباب وحمايته من الانحراف وحثه على العمل، وكانت تنظم المحاضرات باللغتين، وعالجت قضايا الفكر المعاصر من تراث وطب واختراعات وأدب وتاريخ وشارك رواد الاتجاه الاندماجي (النخبة) بقسط وافر في هذا النشاط وقد قيل عن الجمعية التوفيقية بأنها: ((ودية خيرية وتعليم أدبي وعلمي)) وكان نادي صالح باي في قسنطينة من صنف هاتين الجمعيتين.

أما **الجمعيات الفنية**؛ فلم يشر في هذه الفترة إلا **لفرقة (جوقة)** التي يقودها الفنان محمد بن على سنفجة الذي كان يقيم الحفلات الغناء الأندلسي سنة 1908 في المقاهي. وأيضا ظهور الجمعية **المطربية المختلطة الفرنسية الجزائرية** سنة 1911 في الجزائر، والتي يعود تأسيسها لمبادرة اليهودي (إدموند ناتان يافيل) الذي أنشأ مدرسة لتعليم الموسيقى العربية الأندلسية سنة 1909، والتي سرعان ما تحولت إلى جمعية مطربية، وفق التسمية الجديدة التي أطلقها عليها سنة 1911، وهي أول جمعية موسيقية حديثة متخصصة في الفن الأندلسي، تعمل على إحياء حفلات داخل البلاد وخارجها والمحافظة على الموسيقى العربية وتطويرها، بإخراج الموسيقى الأندلسية إلى دُور المعارض وقاعات الحفلات، فشاركت الجمعية في عديد التظاهرات، كما تمكنت من جمع مائة تلميذ كل أسبوع لتعليمهم دروس الغناء والموسيقى.

ب – المرحلة الثانية: جمعيات ونوادي ما بين الحربين (1919– 1939):

بعد الحرب العالمية الأولى، عرفت الجمعيات والنوادي أكثر انتشارا ، فظهر العديد منها وتوسع شأنها مع نشاط الحركة الإصلاحية وظهور الأحزاب السياسية وجمعية النواب. وقد رافق ذلك نوع من التسامح والإدارة الفرنسية لإنشاء هذه الخلايا الاجتماعية ما دامت تحت راقبتها ما دامت تحت راقبتها الشديدة. كما أن مبادرات الجزائريين لم تعد تتوقف على مبادرات الفرنسيين في ذلك. ومن أبرز الجمعيات الفنية والنوادي بالعاصمة، جمعية الشبيبة الإسلامية ونادي الترقي، وجمعية التربية والتعليم في قسنطينة، ونادي السعادة في تلمسان وفي

قسنطينة أيضا (تأسس 1926) ونادي الإتحاد الأدبي الإسلامي في مستغانم، وقد شهدت مدينة قسنطينة وحدها ميلاد حالي 26 جمعية مدنية قبل الحرب العالمية الثانية، وقل مثل ذلك في غيرها من أنحاء القطر.

ولإعطاء صورة واضحة عن نشاط هذه الجمعيات والنوادي وانتشارها في هذه الفترة ما يعبر عنه الجدول التالي:

1 – النوادي الثقافية وأهم الجمعيات التي كانت تنشط في وسط البلاد قبيل 1939:

اسم النادي والجمعية	تاريخ التأسيس	المقر
نادي الترقي (وهو من أهم النوادي في الجزائر اتخذته جمعية العلماء التي تأسست عام 1931فيه مقرلها	1927	الجزائر
نادي الإصلاح	1934	
نادي السعادة		دلس
نادي السلام	1933	تيزي وزو
نادي الإخاء	1935	بوسعادة
نادي المولودية	1932 تمّ حله 1934	المدية
نادي الشبيبة الإسلامية	تمّ حله 1934	المدية
نادي النهضة	1932	البليد
نادي التقدم	1932	البليدة
جمعية الشبيبة الإسلامية	1937	البليدة
نادي بوفريك	1933	بوفريك
نادي الاتحاد	1936	مليانة
نادي الإصلاح	1935	الشلف
نادي الأخوة	1936	شرشال
نادي السلامة	1936	تنس

2 – النوادي الثقافية وأهم الجمعيات التي كانت تنشط في شرق البلاد قبيل 1939:

اسم النادي	تاريخ التأسيس	المقر
نادي الإصلاح	1933	باتنة
الجمعية الإسلامية	1937	باتنة
جمعية الفقراء	1936	بسكرة
نادي الشباب	1936	بسكرة
فرع لكشافة	1936	بسكرة
فرع الشبيبة الإسلامية	1936	بسكرة

الجمعية الإسلامية	1934	بسكرة
نادي الشباب	1937	قنزات
الشبيبة الرياضية الجيجلية	1936	جيجل
جمعية المسلمين	1936	جيجل
جمعية الإصلاح	1930	بجاية
جمعية الإصلاح	1937	بجاية
الشباب الفني (جمعية موسيقية)	1937	بجاية
جمعية الاتحاد	1937	فناي
وادي بني وغليس	1937	بني وغليس
نادي الأمل	1936	سكيكدة
الأوتار الجزائرية (جمعية موسيقية)	1937	تبسة
نادي الشباب المسلمين	1930	تبسة
نادي التهذيب	1937	أم البواقي
نادي الثقافة الإسلامية	1936	وادي الزناتي
جمعية قدماء تلاميذ الأهلية	1937	ميلة
نادي الأخوة	1933	عين مليلة
الجمعية الإسلامية تهتم بالتربية ولتعليم	1934	عين مليلة
الجمعية الإسلامية نشاطها ديني إصلاحي	1936	عين مليلة
فرع كشافة الرجاء	1936	قسنطينة
الشباب الفني (جمعية موسيقية)	1937	قسنطينة
النادي الإسلامي	1935	ميلة
يحي الشباب	1934	ميلة
الجمعية الإسلامية	1936	ميلة
الجمعية الدينية	1936	واد سقن
نادي الشباب الإسلامي	1934	سوق أهراس
جمعية العندليب (جمعية موسيقية	1931	قالمة
نادي الترقي	1936	قالمة
نادي الشبيبة الإسلامية	1963	قالمة
نادي الإرشاد	1935	سطيف
نادي الثقافة الإسلامية	1932	العلمة
نادي الإتحاد	1936	العروسية
نادي الإصلاح	1937	عين عبيسة
جمعية مزهر البوني	1931	عنابة
الجمعية الإسلامية (الاعتدال)	1935	عنابة

3 – النوادي الثقافية وأهم الجمعيات التي كانت تنشط في غرب البلاد قبيل 1939:

اسم النادي والجمعية	تاريخ التأسيس	المقر
نادي الشبيبة الإسلامية	أقدم نادي	تلمسان
نادي السعادة (كان الشيخ البشير اإ0براهيمي من منشطيه)		تلمسان
نادي الرجاء		تلمسان
الجمعية اإأسلامية	1937	تلمسان
نادي الفلاح	1938	وهران
نادي الشبيبة اإإسلامية	قبل 1930	وهران
اإمتحاد اأأدبي اإفسلامي	قبل 1930	مستغانم
نادي التحدي	1937	بني صاف

4 – النوادي الثقافية وأهم الجمعيات التي كانت تنشط في الجنوب قبيل 1939:

اسم النادي والجمعية	تاريخ التأسيس	المقر
نادي األدب	1937	اأمغواط
نادي اإلصلاح		غرداية
جمعية اإيصلاح		
نادي الحياة	1935	القرارة
جمعية الحياة	1935	القرارة